جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

العدول وأثره في دراسة العلّة التضمين النحوي أنموذجا دراسة نحوية وصفية

إعداد
د. صلاح أبو الوفا العادلي همام
الأستاذ المساعد بآداب قنا- جامعة جنوب الوادي

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الرابع ١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

العدول وأثره في دراسة العلّة التضمين النحوي أنموذجا دراسة نحوية وصفية

صلاح أبو الوفا العادلي همام.
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، قنا، مصر.
البريد الإلكتروني :Aazz1277@gmail.com

الملخص:

تناول البحث موضوعًا أحسبه مهمًا، ألا وهو علة التضمين النحوي، وتبيّن ما لها من أثر نحوي وصرفي وبالتالي أثر في الدلالة، فالتضمين نوع من العدول عن المعنى؛ حيث ضُمِّن لفظٌ معنى لفظ آخر، فيُعْدَل عن معناه إلى المعنى المعدول إليه، أي: عدولٌ عن أصل ما وضع له، أو بمعنى آخر هو خروج عن المألوف. وتأتي دراسة التضمين النحوي في إطار ما امتازت به اللغة العربية عن غيرها من لغات البشر بظاهرة اتّساع المعنى، وتعدد دلالة اللفظة الواحدة بتعدد أنماط السياق، وَفَائِدَته أَن تُؤدِّي كلمة مؤدّى كَلِمَتَيْنِ، وجاءت دراسته في باب العلل النحوية؛ يمثل التضمين النحوي واحدة منها. والسؤال عن العلّة قديمٌ قدم البشرية، فقد وُجِدت يوم وُجد العقلُ البشري؛ حيث إن الله ـ عز وجل ـ ميّز الإنسان بالعقل دون سائر الكائنات الأخرى. ويعدّ التعليل النحوي من القضايا المهمة التي شغلت أذهان الباحثين في مجال الدراسات النحوية حقبة ليست بالقليلة؛ لذا وجدناهم يتناولونه بالعرض والتحليل والنقد، في أبوابٍ مستقلةٍ، ومباحثَ منفردةٍ، في إطار محاولاتهم إيجاد المقاييس التي يطَّرد عليها مجيء الظاهرة النحوية؛ فهو أحد فروع القياس النحوي، وقد ارتبطت نشأة التعليل النحوي بنشأة النحو العربي؛ حيث وجد للعلة النحوية أثرٌ في كتب النَّحاة منذ زمن مبكر، مما يؤكّد على أنَّ الدراسة اللغوية والنحوية لم تكن بدعاً في التعليل؛ فقد لجأ إليه النّحاة عند وضع قواعدهم، فهو سِمَةٌ بارزة في الدرس النحوي العربي، ومَعلَمٌ ظاهر من معالِم منهجه. وقد بدأ البحث بتعريف العلة لغةً واصطلاحًا،

دون الخوض في تفصيلات النحاة في هذا الباب، فلم يتعرض لذكر الخلاف الوارد حول نشأة التعليل النحوي، وعلى يد من كانت نشأته وبداياته، أو الاختلاف الدائر بين المعاصرين حول علل النحاة، وآرائهم المتعددة، وتخريجاتهم المتنوعة، وبمن تأثر النحاة في عللهم؟، هل تأثروا بالفلاسفة أو بالفقهاء؟ وغير ذلك. ثم اتّجه البحث لدراسة التضمين النحوي وبيّن أثره في التحول البنائي والدلالي، من خلال عرضه لنماذج تطبيقية من القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب، وقد توصلت الدراسة لبعض النتائج والتوصيات، منها: أن وجود ظاهرة التعليل النحوي من أبرز الظواهر اللغوية وجودًا وأثرًا وأهميةً، ولا غنى للبحث اللغوي عنها. يمكننا القول دُونَ أدنى غضاضة أنه لا تكاد تمرُّ ظاهرةٌ أو مسألةٌ نحويَّة وللعلة دور وأثر فيها؛ فقد عمل أهل اللغة على بيان العِلة من وراء كل ظاهرة أو مسألة، وبيان أدلة الاستقرار على آرائهم فيها. والله من وراء القصد.

الكلمات المفتاحية: العدول، العلة النحوية، التضمين، الظاهرة اللغوية، المسائل النحوية.

Modification and its impact on the study of cause،Grammatical implication is a model for a descriptive grammatical study

Salah Abu Al-Wafa Al-Adly Hammam
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, South Valley University, Qena, Egypt.

E-mail: *Aazz1277@gmail.com*

Abstract:

The research deals with a very important topic, which is the reason for grammatical implication, and revealed its grammatical and morphological effect and thus its effect on meaning. Implication is a type of deviation from meaning. Where one word includes the meaning of another word, its meaning is changed to the meaning to which it is modified, that is: going from the origin of what was intended for it, or in other words, it is a going from the norm.The study of grammatical implication comes within the framework of what distinguishes the Arabic language from other human languages in the phenomenon of extending of meaning, and the multiplicity of meanings of a single word due to the multiplicity of context patterns, and its benefit in that a word leads to two words, and its study came in the chapter of grammatical reasons; Grammatical implication is one of them. Grammatical reasoning is one of the important issues that has occupied the minds of researchers in the field of grammatical studies for quite some time. Therefore, we found them dealing with it through presentation, analysis, and criticism, in separate sections and individual topics, as part of their attempts to find criteria according to which the occurrence of the grammatical phenomenon is frequent. It is one of the branches of grammatical analogy, and the emergence of grammatical reasoning was linked to the emergence of Arabic grammar. The grammatical cause was found to have an impact in the books of grammarians from an early age, which confirms that linguistic and grammatical study were not innovations in reasoning. Grammarians have resorted to it when setting their rules, as it is a prominent feature in the Arabic grammatical lesson, and an apparent feature of its approach.The research began by defining the cause linguistically and terminologically, without any details of grammarians in this section. It did not address the disagreement about the origin of grammatical reasoning, and by whom it originated and began, or the ongoing disagreement among

contemporaries about the causes of grammarians, their multiple opinions, their various interpretations.The research then turned to studying grammatical implication and demonstrated its impact on structural and semantic transformation, through its presentation of applied models from the Holy Qur'an, the Prophet's hadith, and the speech of the Arabs. The study reached some results and recommendations, including: The presence of the phenomenon of grammatical implication is one of the most prominent linguistic phenomena in existence, impact, and importance, and it is indispensable. For linguistic research on it We can say without any hesitation that there is hardly a phenomenon or grammatical issue that comes across in which the cause has a role and impact. Linguists have worked to explain the reason behind every phenomenon or issue, and to show evidence of stability for their opinions about it.

KeyWords: ***Modulation , Grammatical Cause , Implication , Linguistic Phenomenon , Grammatical Issues.***

المقدمة:

الحمدُ لله ربّ العالمين، الوهّاب المنَّان، صاحب الفضل والإكرام، خلق الإنسان وعلّمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي فصاحة اللسان، وجزالة المنطق وحسن البيان، النَّبيّ المرسَل، سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ التضمين نوع من العدول، وأقصد العدول الذي هو الخروج عن المألوف المعتاد؛ حيث ضُمِّن لفظ معنى لفظ آخر، فيعدل عن معناه إلى المعنى المعدول إليه، أي: عدول عن أصل لما وضع له أصلًا، ويدرس في إطار ما امتازت به اللغة العربية عن غيرها من لغات البشر بظاهرة اتّساع المعنى، وتعدد دلالة اللفظة الواحدة بتعدد أنماط السياق، قال صاحب اللسان:" عَدَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْدِلُ عَدْلًا وعُدولًا: حَادَ، وَعَنِ الطَّرِيقِ: جَارَ، وعَدَلَ إِليه عُدُولًا: رَجَعَ، ... والعَدْل: أَن تَعْدِل الشيءَ عَنْ وَجْهِهِ، تَقُولُ: عَدَلْت فُلَانًا عَنْ طَرِيقِهِ وعَدَلْتُ الدابَّةَ إِلى مَوْضِعِ كَذَا، ... وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَدَلَ عَنْهُ يَعْدِلُ عُدولًا إِذا مَالَ كأَنه يَمِيلُ مِنَ الْوَاحِدِ إِلى الْآخَرِ."[1]؛ فلما كان التضمين إرادة معنى دون المعنى الأصلي، عددته نوعا من العدول أو الخروج عن المألوف، قال ابن هشام:" قد يشربون لفظًا معنى لفظ فيعطونه حكمه، وَيُسمى ذَلِك تضمينًا، وَفَائِدَته: أَن تُؤَدِّي كلمة مؤدّى كَلِمَتَيْنِ."[2]، ولا يخفى أن العدول عن المعنى يتبعه تأثير في الإعراب وفي البنية، وهذا ما أردت دراسته من خلال العلل النحوية، ويمثل التضمين النحوي واحدة منها.

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري(ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١٤١٤،٣هـ، ١١: ٤٣٤، ٤٣٥، باب اللام فصل العين.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م، ١: ٨٩٨.

هذا والسؤال عن العلّة قديمٌ قدم البشرية، فقد وُجِدت يوم وُجد العقل البشري؛ حيث إنّ الله ـ عزَّ وجلّ ـ ميّز الإنسان بالعقل دون سائر الكائنات الأخرى، قال تعالى:" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا" الإسراء ٧٠، وقد أصبح لزامًا وفق الطبيعة البشرية أن يكون بنو البشر محبّين للبحث في كل ما يحيط بهم من ظواهر؛ لإدراك كنهها وطبيعتها، وتتبع علتها وسببها، وتفسيرها، ومن هؤلاء كان علماء اللغة، الذين عملوا على تعليل ما وجدوه من الظواهر اللغوية؛ محاولة منهم لتفسيرها، وجعلها في قواعد عامة، يندرج كل ما تشابه من ظواهر تحت باب واحد، فيسهل استخدامها في صورة مقبولة.

وعليه فيعدّ التعليل النحوي من القضايا المهمة التي شغلت أذهان الباحثين في مجال الدراسات النحوية حقبة ليست بالقليلة؛ لذا وجدناهم يتناولونه بالعرض والتحليل والنقد، في أبوابٍ مستقلةٍ، ومباحثَ منفردةٍ، في إطار محاولاتهم إيجاد المقاييس التي يطَّرد عليها مجيء الظاهرة النحوية؛ فهو أحد فروع القياس النحوي، الذي هو قديم قدم النحو، واستعمله نحاة العرب الأوائل ودعوا إليه، وقد عَدّ البعضُ التعليلَ من أسرار اللغة ولطائفها، يقول السُّهيلي:" فإذا كانت صناعة الإعراب مرقاة إلى علوم الكتاب، لا يتولج فيها إلا من أبوابه ولا يتوصل إلى اقتطاف زهراتها إلا بأسبابه فواجب على الناشئين تحصيل أصولها، وحتم على الشادين البحث عن أسرارها وتعليلها، وقد عزم لي بعد طول مطالبة من الزمان، ومجاذبة لأيدي الحدثان، وأمراض همة لا تغب ... على جمع نبذ من نتائج الفكر، اقتنيتها في خلس من الدهر، معظمها من علل النحو اللطيفة، وأسرار هذه اللغة الشريفة."[1]، والأمر نفسه عند

(١) نتائج الفكر في النَّحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهَيلي (ت: ٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص ٢٦

أبي البركات الأنباري، حيث قال: " فقد ذكرت في هذا الكتاب الموسوم بأسرار العربية، كثيرًا من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين، من البصريين والكوفيين، وصحَّحت ما ذهبتُ إليه منها بما يحصل به شفاء الغليل، وأوضحت فساد ما عداه بواضح التعليل، ورجعت في ذلك كله إلى الدليل، وأعفيته من الإسهاب والتطويل وسهلته على المتعلم غاية التسهيل." (١)، فقد عُنى أبو البركات بالأسرار هنا العللَ النحويةَ، والحجة من وراء الظواهر النحوية واللغوية.

وقد ارتبطت نشأة التعليل النحوي بنشأة النحو العربي؛ حيث وجد للعِلّة النحوية أثرٌ في كتب النَّحاة منذ زمن مبكر، مما يؤكّد على أن الدراسة اللغوية والنحوية لم تكن بدعًا في التعليل؛ فقد لجأ إليه النّحاة عند وضع قواعدهم، فهو سِمَةٌ بارزة في الدرس النحوي العربي، ومَعلَمٌ ظاهر من معالِم منهجه، وقد نسب البعض وجود العلّة إلى عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، يقول ابن سلّام:" ثُمَّ كَانَ من بعدهمْ عبد الله بن أَبى إِسْحَاق الحضرمي، وَكَانَ أول من بعج النَّحْو وَمدَّ الْقيَاس والعلل ..."(٢)، وأكّد على ذلك الدكتور محمود فهمي حجازي ـ رحمه الله ـ بقوله:" وأقدم هؤلاء النحاة عبد الله بن إسحق الحضرمي الذي عدّه ابن سلام صاحب طبقات الشعراء أول من بعج النحو، ومدّ القياس وشرح العِلل، ولا شكَّ أن أهم هؤلاء: الخليل بن أحمد، أستاذ سيبويه ..." (٣)، ويقول د. أحمد مختار عمر:" عبد الله بن أبي اسحاق سئل عنه

---

(١) أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري(ت: ٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ص ٣٣.

(٢) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي، أبو عبد الله(ت: ٢٣٢هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ١: ١٤، بدون.

(٣) علم اللغة العربية، د. محمود فهمى حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٨٤، بدون.

يونس فقال: هو والنحو سواء، ويقال: إنه أول من علَّل النحو، وإنه كان شديد التجريد للقياس والعقل به ...، ويقول ابن الأنباري: إنَّه أول من علل النحو."(١)

أمّا البعض فقد عزى التعليلَ النحويَّ إلى الخليل بن أحمد، قال ابن مالك:" الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، شيخ سيبويه، وكان ذكيًا، فطنًا استنبط من العروض، ومن علل النحو ما لم يستنبطه أحد."(٢)، وقال الإمام السّيوطي:" ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد ـ رحمه الله ـ سُئِل عن العلل التي يعتلُّ بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتَها أم اخترعتَها من نفسك؟ فقال:" إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامِها، وقام في عقولها عللُه، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللتُ أنا بما عندي أنّه علةٌ لما علّلتُه منه، فإنْ أكنْ أصبتُ العِلّةَ فهو الذي التمستُ، وإن تكن هناك علّةً غير ما ذكرتُ فالذي ذكرته محتملٌ أن يكون علة له، ومثلي في ذلك مثلُ رجلٍ حكيمٍ دخل دارًا محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق، أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللائحة، فكلمّا وقف هذا الرجل في الدار على شيءٍ منها قال: إنّما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، ... فجائز أن يكون الحكيم الباني للدّار فَعَل ذلك للعِلَّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائزٌ أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلّا أنّ ما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علةً لذلك، فإن سنحت لغيري علةٌ

---

(١) البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م، ص ٩٠.

(٢) شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين(ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، السعودية، ط١، ١: ١٦٤، بدون.

لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعول فليأت بها."[١]، والذي يمكن فهمه من كلام الخليل أن العلل عنده علل احتمالية، ليست على سبيل الجزم بها، ودعوى إلى إيجاد علل غيرها أكثر صوابًا وصحة منها، وقد ألقى الخليل رحمه الله بالتبعية على النحاة وحدهم دون غيرهم؛ فهم المسؤولون عن إيجاد العلة من ظاهرة لغوية معينة، أو مسألة نحوية.

ولن يتّجه البحث إلى ذكر الخلاف الوارد حول نشأة التعليل النحوي، وعلى يد من كانت نشأته وبداياته، أو الاختلاف الدائر بين المعاصرين حول علل النحاة، وآرائهم المتعددة، وتخريجاتهم المتنوعة، وبمن تأثر النحاة في عللهم؟، هل تأثروا بالفلاسفة أو بالفقهاء؟؛ فإن من المعلوم تأثر علماء العربية بالفلسفة والمنطق، يقول السامرائي:" استهوى منطق أرسطو وفلسفة الفلاسفة الآخرين الباحثين في الثقافة العربية الإسلامية، فتأثروا بهذا في سائر علومهم."[٢]

حيث يقول البعض: إنَّ اهتمام النحاة بالعلة جاء تأثرًا باهتمام الفقهاء؛ لأن الفقهاء اهتموا بالعلة في استخراج أحكامهم الشرعية، وصولا إلى القاعدة الصحيحة لاستنباط الأحكام، فسعى النحويون إلى استخراج العلل الخاصة بكل ظاهرة لغوية أو مسألة نحوية، تأكيدا للحكم، ومن ثم رسخوا لفكرة القياس النحوي. فالبحث معنيٌّ بدراسة علّة التضمين، دون الخوض في تلك القضايا الخلافية، وذلك محاولة منه لإخراج دراسة موجزة وافية، ومحاولة لرصد مظاهر التضمين في نماذج عدَّة من

---

(١) الاقتراح في أصول النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)، تعليق وتقديم: عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ١١٢.

(٢) فقه اللغة المقارن، د. إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ٢٠٨.

القرآن والحديث ومن كلام العرب؛ إظهارًا لدورها وأثرها؛ وأنها من العلل النحوية المعتبرة، مع الوضع في الاعتبار أن البحث سيركّز على التضمين النحوي دون النظر إلى الأنواع الأخرى للتضمين؛ حيث إنه من المعلوم أن التضمين منه العروضي، ومنه البلاغي بأقسامه: البديعي والبياني، إضافة إلى التضمين النحوي موضوع البحث، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي:" إن اصطلاح (التضمين) يدل على دلالات متباينة بحسب المادة التي استعمل فيها، واستفادت منه، فنراه في كتب البلاغة في باب (التضمين والاقتباس)، وهو في مادة العروض في باب (عيوب القوافي)، كما أنه يدخل في من النحو، مثل باب (حروف الجر، والمتعدّي واللازم)."[(١)]، والذي سيتناوله البحث من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي، والفائدة، والأثر الدّلالي، مع ذكر النماذج التطبيقية؛ وفي كتب النّحاة ما يغنينا عن تلك التفاصيل، لكن هذا لا يمنع من العرض بإيجاز لمفهوم العِلَّة لغة واصطلاحا قبل تناول علّة التضمين النحوي؛ وذلك للارتباط الوثيق بينهما، فالتضمين النحوي نوع من العلل.

ويودّ الباحث الإشارة إلى أنه ليس أولَ من تناول علة التضمين النحوي بالدراسة، وأنه في هذا الأمر مسبوقٌ بدراسات عديدة قد أفاد، ومن هذه الدراسات:

- كتاب نظرية التعليل في النحو العربي، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمّان، ٢٠٠٠م.
- التضمين النحوي وأثره في المعنى، هادي أحمد فرحان، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، العدد الثلاثون، ٢٠٠٥م.
- العلل النحوية، حيدر فرحان، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق، العدد الرابع، ٢٠٠٩م.

---

(١) فقه اللغة المقارن، ص ٢٠١.

- التعليل النحوي عند ابن هشام، رسالة دكتوراه إعداد: عفاف بلعايش، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ٢٠١٧م.
- المصطلحات والأصول النحوية في كتاب إيضاح الوقف والابتداء، عبد الوهاب محمد الغامدي، ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، بدون تاريخ.
- التضمين عند النحاة، فائز رمضان لعيبي، مجلة أبحاث ميسان، جامعة ميسان، العراق، المجلد السابع عشر، العدد الثالث والثلاثون، ٢٠٢١م.
- ظاهرة التضمين في القرآن الكريم دراسة نحوية، عبد الرحمن مضوي عبد الرحيم، عائشة محمد الحمادي، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، الإمارات العربية، ٢٠٢٣م.
- التضمين وأثره في المعنى والإعراب، إعداد: شيماء محمد توفيق، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الخامس والثلاثون، بدون تاريخ أو مكان.
- التضمين بين حروف الجر في صحيح البخاري، دراسة نحوية دلالية، جهاد يوسف العرجا، وإيناس درباس، مجلة جامعة الأقصى، فلسطين، المجلد ٢٠، العدد ٢.

وغير ذلك من الأبحاث والرسائل العلمية، والمؤلفات، فجزى الله أصحابها عني خيرًا.

مفهوم العلّة في اللغة والاصطلاح:

تُعدّ العِلّة إحدى أركان القياس النحوي المهمة؛ حيث إنّها أداة فاعلة في ترسيخ الأحكام، وتقعيد القواعد النحوية، وتأتي لغةً لمعانٍ منها: المرض، السبب، قال صاحب اللسان:" العِلَّة المَرَضُ، عَلَّ يَعِلُّ واعْتَلَّ، أَي: مَرِض، وصاحبها مُعتَلّ، فَهُوَ عَلِيلٌ، والعِلَّةُ: الحَدَث يَشْغَل صاحبَه عَنْ حَاجَتِهِ، كأَنَّ تِلْكَ العِلَّة صَارَتْ شُغْلًا ثَانِيًا مَنَعَه عَنْ شُغْله الأَول، وَفِي حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ ثابت: مَا عِلَّتي وأَنا جَلْدٌ نابلٌ؟ أَي: مَا عذْري فِي تَرْكِ الْجِهَادِ ومَعي أُهْبة الْقِتَالِ، فَوَضَعَ العِلَّة مَوْضِعَ الْعُذْرِ[١]، وَفِي الْمَثَلِ: لَا تَعْدَمُ خَرْقاءُ عِلَّةً[٢]، يُقَالُ هَذَا لِكُلِّ مُعْتَلٍّ وَمُعْتَذِرٍ وَهُوَ يَقْدِر."[٣]، ويعرّفها الجرجاني بقوله:" العلّة عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل بلا اختيار، ومنه يسمى المرض علة؛ لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف ... ، والعلة: هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجًا مؤثرًا فيه، وعِلّة الشيء: ما يتوقف عليه ذلك الشيء."[٤]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير(ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ٣: ٢٩١، والنَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِيرِ غرِيبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ، محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، المعروف بابن بطال(ت: ٦٣٣هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١٩٨٨م، ١: ٨.

(٢) جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(ت: نحو ٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ٢: ٣٧٩.

(٣) لسان العرب، ١١: ٤٧١، (باب اللام فصل العين).

(٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص ١٥٤.

العلّة اصطلاحًا:

تطلق العِلّة على السبب المؤدِّي إلى وجود الحكم النحوي، والموجب له، إضافة إلى أنّها التفسير العلمي للأسباب التي تكمن وراء الظاهرة اللغوية، والقاعدة النحوية؛ تأكيدًا لما استقرّت عليه من وجه إعرابي، والتعليل ضرب من الفكر والروية كما عدّه الإمام السّيوطي، قال:" والنحو بعضه مسموع مأخوذ من العرب، وبعضه مستنبط بالفكر والروية، وهو التعليلات، وبعضه يؤخذ من صناعة أخرى."[(١)]، والعلة مقرونة بالظاهرة اللغوية والقاعدة النحوية؛ حيث إن النحويَّ يشغل بالَه إيجادُ العلة النحوية لظاهرة ما، ثم بعد ذلك يبني عليها القاعدة النحوية موطن شاهده، يقول أبو البركات:" ... ومَنْ تمسك بالأصل خرج عن عُهْدَة المطالبة بالدليل، ومَنْ عَدَلَ عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل؛ لعدوله عن الأصل، ..."[(٢)]

التضمين لغة:

يعدّ التضمين من أسرار إعجاز العربية، وأحد أهم مفاتيح اللغة؛ حيث إنّ المصطلح قد ارتبط بعلوم متعددة في اللغة العربية، وهذا يفسّر لنا ما ناله من اهتمام كبير عند علماء اللغة، والبلاغة، إضافة إلى علماء التفسير، والمهتمين بعلوم القرآن الكريم، وهو من الأساليب التي اضطرّ إليها النحويون في تعليلاته لمسائل نحوية، وتراكيب لغوية فصيحة، لكنها لم تكن موافقة لقواعدهم المستقرّ عليها، وهو لغةّ مأخوذ من قولنا: ضمّن الشيءُ الشيءَ، أي: أودعه إياه، وتقول: ضَمِنْتُ الشيءَ

---

(١) الاقتراح في أصول النحو، ص ١٧٨.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبو البركات، كمال الدين الأنباري(ت: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ١: ٢٤٥.

أضمنه ضمانا، وقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ."(١)، أي: ذو ضمان على الله عزّ وجلّ، قال ابن فارس:" (ضَمَنَ) الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ فِي شَيْءٍ يَحْوِيهِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ضَمَّنْتُ الشَّيْءَ، إِذَا جَعَلْتَهُ فِي وِعَائِهِ."(٢)، أما عند الجوهري: " فضَمَّنْتُهُ الشيء تضمينا فتضمنه عني، مثل غرمته، وكلّ شيء جعلته في وعاء فقد ضمَّنْتَهُ إياه، والمضَمَّنُ من بيت الشعر هو ما لا يتمُّ معناه إلا بالذي يليه، وفهمت ما تَضَمَّنَهُ كتابُكَ، أي ما اشْتمل عليه وكان في ضِمْنِهِ."(٣)، والمعنى نفسه ذكره صاحب اللسان، قال:" ضَمِنَ الشيءَ وَبِهِ ضَمْناً وضَمَاناً: كَفَل بِهِ، وضَمَّنَه إِياه: كَفَّلَه، ... وضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أَوْدَعه إِياه كَمَا تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ، وكُلُّ شيءٍ أُحرِزَ فِيهِ شَيْءٌ فَقَدْ ضُمِّنَه، ... والمُضَمَّنُ مِنَ الشِّعْرِ: مَا ضَمَّنْتَهُ بَيْتًا، وَقِيلَ مَا لَمْ تَتِمَّ مَعَانِي قَوَافِيهِ إِلا بِالْبَيْتِ الَّذِي

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي(ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ٣: ٧، بدون.

(٢)مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ٣: ٣٧٢.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤: ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ٦: ٢١٥٥.

يَلِيهِ."[1]، ولا يعده الأخفش من العيوب، قال ابن منظور:" وَلَيْسَ بِعَيْبٍ عِنْدَ الأَخفش، وأَن لَا يكونَ تَضْمِينٌ أَحْسَنُ؛ قَالَ: وَلَوْ كَانَ كُلُّ مَا يُوجَدُ مَا هُوَ أَحسن مِنْهُ قَبِيحًا كَانَ قَوْلُ الشَّاعِرِ(من الطويل)[2]:

سَتُبْدي لَكَ الأَيامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ... ويأْتيك بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

رَدِيئًا إِذا وَجَدْتَ مَا هُوَ أَشْعر مِنْهُ، قَالَ: فَلَيْسَ التَّضْمِينُ بِعَيْبٍ كَمَا أَن هَذَا لَيْسَ بِرَدِيءٍ، وَقَالَ ابْنُ جِنِّي: هَذَا الَّذِي رَآهُ أَبو الْحَسَنِ مِنْ أَن التَّضْمِينَ لَيْسَ بِعَيْبٍ مَذْهَبٌ تَرَاهُ الْعَرَبُ وَتَسْتَجِيزُهُ، وَلَمْ يَعْدُ فِيهِ مذهبَهم مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحدهما السَّمَاعُ، وَالْآخَرُ الْقِيَاسُ، أَما السَّمَاعُ فَلِكَثْرَةِ مَا يَرِدُ عَنْهُمْ مِنَ التَّضْمِينِ، وأَما الْقِيَاسُ فلأَن الْعَرَبَ قَدْ وَضَعَتِ الشِّعْرَ وَضْعًا دَلَّتْ بِهِ عَلَى جَوَازِ التَّضْمِينِ عِنْدَهُمْ."[3]، وعليه فإن المعنى اللغوي للتضمين يدور في فلك التبادل والإعطاء والأخذ بين شيئين يجمعهما محور مشترك.

التضمين اصطلاحاً:

لا يبعد المعنى الاصطلاحي لمفهوم التضمين كثيرا عن المعنى اللغوي؛ فهو يدور حول المعنى اللغوي الدال على التخفي والاستتار، واشتمال الظاهر على ذلك المخفي أو دلالته عليه، وهذه المعاني كلها تشكل مدار التعريف الاصطلاحي

---

(١) لسان العرب،١٣: ٢٥٧- ٢٥٩.

(٢) هو طرفة بن العبد، وقيل عَمْرُوْ وقيل أَيضًا عُبَيْدُ بْنُ اَلْعَبْدِ بْنُ سُفْيَانُ بْنُ سَعْدُ بْنُ مَالِكُ بْنُ ضُبَيْعَةَ بْنُ قَيْسُ اَلْبَكْرِي المُكنى بَأبي عَمْرُوْ، والمعروف بِطَرَفَةِ اِبْن اَلْعَبْدِ، وهو شاعر عربي جاهلي من شعراء الطبقة الأولى.

(٣) لسان العرب، ١٣: ٢٥٩، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(ت٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، ٣٥: ٣٣٤.

للتضمين؛ إذ يعني التوسّع في استعمال لفظ يجعله مؤيداً معنى لفظ آخر مناسب له، وقال السامرائي:" وهذه فائدة التضمين ففيه كسب معنيين في تعبير واحد."(١)، وقد عرّفه الرماني بقوله:" تضمين الكلام هو حصول المعنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه، والتضمين على وجهين: أحدهما ما كان يدل عليه الكلام دلالة الإخبار، والآخر ما يدل عليه دلالة القياس."(٢)، وهذا ما أشار إليه الزمخشري رحمه الله عند حديثه عن الغرض من التضمين في قوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ...) الكهف ٢٨، بقوله:" الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى."(٣)، وقال دليلا على ذلك:" يقال: عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم: جاءني القوم عدا زيدًا، وإنّما عدى بـ(عن)؛ لتضمين (عدا) معنى: نبا وعلا، في قولك: نبت عنه عينه، وعلت عنه عينه: إذا أقتحمته ولم تعلق به، ألا ترى كيف رجع معنى (لا تَعْدُ عيناك)، إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟."(٤)، وذكر مثالًا آخر في قوله تعالى:" وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا" النساء ٢، فقال:" أي: ولا

---

(١) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ٣: ١٤.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني(ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م، ١: ١٠٢.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله(ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٢: ٧١٧.

(٤) الكشاف، ٢: ٧١٧.

تضموها إليها آكلين لها."[١]، ومن ذلك كذلك تضمين الفعل(ردف) معنى الفعل(قرب) في قوله تعالى:" قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ" النمل ٧٢، قال أبو حيّان:" ... ولم يذكر سيبويه زيادة اللام، وتابعه أبو علي، وذهب المبرد إلى زيادتها في(ردف لكم)، ... ثم تأوّله على معنى التضمين في ردف، وهو بمعنى قرب."[٢]، وتباينت اتّجاهات النحاة حول قياسية التضمين وسماعيته، لكن الأقرب، والذي مال أوائلهم إليه هو أن التضمين قياسيٌّ، قال ابن جنّي في معرض حديثه عن التضمين:" ووجدت في اللغة من هذا الفنِّ شيئًا كثيرًا لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا، وقد عرفت طريقه، فإذا مرَّ بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها، والفقاهة فيها."[٣]، وقد استند إلى الكثرة عدد غي قليل من النحاة فقالوا بالقياس في التضمين، ومن هؤلاء أبو حيّان الأندلسي، وأبو البقاء، وخالد الأزهري المعروف بالوقّاد، قال في شرح التصريح:" واختلف في التضمين أهو قياسي أم سماعي؟ والأكثرون على أنه قياسي، وضابطه أن يكون الأول والثاني يجتمعان في معنى عام."[٤]، هذا وقد ذكر صاحب (النحو الوافي) ـ رحمه الله تعالى ـ كلامًا غاية في

---

(١) الكشاف، ٢: ٧١٧، وينظر: الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان وآخرون، مجمع اللغة، دمشق، ١: ٢١٩، بدون.

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ٤: ١٧٠٩.

(٣) الخصائص: ٢: ٣١٢.

(٤) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد(ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ١: ٥٣٦.

الإبداع حول ردا على القائلين بعدم وجود التضمين النحوي، قال:" فكيف نسدُّ باب التضمين في اللغة، وهو يرجع إلى أصول ثابتة فيها؟، وأقول بعد هذا: لا بدَّ من قيود نضبط بها استعمال التضمين، وقد رأى بعض الزملاء أن يقصر التضمين على الشعر، وفي هذا قصر للحقيقة، أو للمجاز، أو للكناية؛ وهي الأصول التي يخرج عليها التضمين على فن من الكلام دون آخر، وهذه الأمور الثلاثة تقع في الشعر والنثر بلا قيد ولا شرط، على أن الشعر من أكثر فنون القول ذيوعًا، والناس يحفظون الشعر ويجرون على أساليبه في الكتابة والخطابة، فإن أجزنا التضمين في الشعر وحده، وقعنا في الأمر الذي نفرُّ منه، ونحن هنا نقرر الحقائق العلمية، ونرجِّح منها ما يستحق الترجيح تحقيقًا لأغراضنا."(١)، هذا ومما قرّره جمهور النُّحاة مجيءَ التضمين في الأفعال والأسماء والحروف، وإن كان البعض قد قصره على الأفعال وعلى رأسهم الزمخشري، وقصره بعضهم على الحروف والأفعال، وأن التضمين عندهم لا يخرج عن أنه فعل ورد مع حرف لم يجرِ استعمالُه معه، جيء بذلك الحرف للدلالة على الفعل الذي شاع معه استعماله، ومن هؤلاء ابنُ جنّي ـ رحمه الله ـ قال:" اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه."(٢)، وقال الزركشي بمجيئه في الأقسام الثلاثة، قال رحمه الله:" وَهُوَ إِعْطَاءُ الشَّيْءِ مَعْنَى الشَّيْءِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْأَسْمَاءِ وَفِي الْأَفْعَالِ وَفِي الْحُرُوفِ، فَأَمَّا فِي الْأَسْمَاءِ فَهُوَ أَنْ تُضَمِّنَ اسْمًا مَعْنَى اسْمٍ لِإِفَادَةِ مَعْنَى الِاسْمَيْنِ جَمِيعًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى

(١) النحو الوافي، عباس حسن(ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط١٥، ٢: ٥٨٤، بدون.

(٢) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، ٢: ٣١٠، بدون.

اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} الأعراف ١٠٥، ضُمِّنَ (حَقِيقٌ) مَعْنَى حَرِيصٍ؛ لِيُفِيدَ أَنَّهُ مَحْقُوقٌ بِقَوْلِ الْحَقِّ وَحَرِيصٌ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْأَفْعَالُ فَأَنْ تُضَمَّنَ فِعْلًا مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ وَيَكُونَ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلَيْنِ جَمِيعًا، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ يَتَعَدَّى بِحَرْفٍ فَيَأْتِي مُتَعَدِّيًا بِحَرْفٍ آخَرَ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِ التَّعَدِّي بِهِ فَيُحْتَاجُ إِمَّا إِلَى تَأْوِيلِهِ أَوْ تَأْوِيلِ الْفِعْلِ لِيَصِحَّ تَعَدِّيهِ بِهِ."[١]، ويميل البحث إلى القائلين بأن التضمين يشمل ثلاثة الأقسام، وسوف يعرض البحث لنماذج تطبيقية للتضمين النحوي جاءت في أقسام الكلام الثلاثة:

التضمين النحوي في الأفعال:

مما جاء فيه التضمين النحوي في الأفعال بتضمين فعل معنى آخر، فترتّب عليه تغيُّر في الصيغة الصرفية أو النحوية، قوله تعالى:" اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة ٦، فقد قال بعضهم بتضمين الفعل (اهدنا) معنى الفعل (أدخلنا أو ثبتنا)، قال الزجاج:" ومعنى (اهْدِنَا) وهم مهتدون: ثَبِّتْنا على الْهُدَى، كما تقول للرجل القائم: قم لي حتى أعود إليك، تعني: أثبت لي على ما أنت عليه."[٢]، وقال الراغب:" الهداية: دلالة بلطف، ومنه الهدية، وهوادي الوحش متقدماتها؛ لكونها هادية لسائرها."[٣]، وأكّد ابن الفرّاء البغوي على هذا المعنى بقوله:" اهْدِنَا: أرشدنا، وقال

---

(١) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، ٣: ٣٣٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج(ت: ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ١: ٤٩.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة الجزء الأول: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١: ٦٠.

أبيّ بْنُ كَعْبٍ: ثَبِّتْنَا، كَمَا يُقَالُ لِلْقَائِمِ: قُمْ حَتَّى أَعُودَ إِلَيْكَ، أَيْ: دُمْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَهَذَا الدُّعَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ كَوْنِهِمْ عَلَى الْهِدَايَةِ، بِمَعْنَى التَّثْبِيتِ وَبِمَعْنَى طَلَبِ مَزِيدِ الْهِدَايَةِ، لِأَنَّ الْأَلْطَافَ وَالْهِدَايَاتِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَتَنَاهَى."(١)، وقد انصرفت دلالة الفعل إلى الدعاء والرغبة لا الأمر، قال ابن عطيّة:" (اهْدِنَا) رغبةٌ؛ لأنها من المربوب إلى الربّ، وهكذا صيغة الأمر كلّها، فإذا كانت من الأعلى فهي أمر، والهداية في اللغة الإرشادُ، لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلُّها إذا تؤملت رجعت إلى الإرشاد، ... "(٢)، وتتمة للفائدة : لا ضير أن أقول إن ابن عطية ـ رحمه الله ـ ذكر عدّة معاني يأتي عليها الفعل (هدى)، منها أنه يجيء بمعنى: خلْق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى:(أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ) البقرة ٢، وقوله تعالى:(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ) الأنعام ١٢٥، قال ابن عطية:" فهذه آية لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان في القلب، وهو محض الإرشاد."(٣)، وقد جاء الهدى بمعنى الدعاء، وقد جاء الهدى بمعنى الإلهام، من ذلك قوله تعالى:(أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى) طه ٥، أي: ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها، وقد جاء الهدى بمعنى البيان، كقوله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) فصلت ١٧، أي: بيَّنَّا لهم، وفي هذا كله معنى الإرشاد، وقد ترد الهداية والمراد بها إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان والطرق المفضية إليها، من ذلك قوله تعالى في صفة

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي(ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١: ٧٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ١: ٧٣.

(٣) المحرر الوجيز، ١: ٧٣.

المجاهدين:(فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بالَهُمْ) محمد ٥، ومنه قوله تعالى: (فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ) الصافات ٢٣، أي: فاسلكوهم إليها، وقال الإمام الطبري:" ومعنى قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، في هذا الموضع عندنا: وَفِّقْنا للثبات عليه، ... وألهمنا الطريق الهادي، وإلهامه إيّاه ذلك، هو توفيقه له، ... فأعِنَّا على عبادتك، ووفِّقنا لما وفَّقت له مَن أنعمتَ عليه من أنبيائك، وأهل طاعتك، من السبيل والمنهاج."(١)، وردًّا على سؤال السائل: وأنَّى وَجدتَ الهدايةَ في كلام العرب بمعنى التَّوفيق؟ قال الطبري:" ذلك في كلامها أكثرُ وأظهر من أن يُحصى عددُ ما جاء عنهم في ذلك من الشواهد، فمن ذلك قول الشاعر(من البسيط):

لا تَحْرِمَنِّي هَدَاكَ الله مَسْأَلتِي ... وَلا أَكُونَنْ كمن أَوْدَى به السَّفَرُ

يعنى به: وفَّقك الله لقضاء حاجتي، ومنه قول الآخر(من المتقارب):

ولا تُعْجِلَنِّي هدَاكَ المليكُ ... فإنّ لكلِّ مَقامٍ مَقَالا

فمعلوم أنه إنما أراد: وفقك الله لإصابة الحق في أمري، ومنه قول الله جل ثناؤه: (وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) آل عمران ٨٦."(٢)، أي: والله لا يوفّق للحق والصّواب الجماعة الظَّلمة، وهم الذين بدّلوا الحق إلى الباطل، فاختارُوا الكفر على الإيمان.(٣)، أما صاحب البحر المحيط فيقول:" فيقول:" وَالْهِدَايَةُ هُنَا هِيَ إِلَى الْإِيمَانِ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري(ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ١: ١٦٦.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١: ١٦٦.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٦: ٥٧٦.

وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ، ... وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ الْإِخْبَارَ عَنْ أَنَّ الظَّالِمَ فِي ظُلْمِهِ لَيْسَ عَلَى هُدًى مِنَ اللَّهِ."(١)

والفعل يتعدّى بنفسه إذا جاء في معنى الدلالة، وقد يتعدّى بنفسه أو بالحرف، إذا كان في معنى الإعطاء، تقول: هديتُه الطريق وأهديته إلى البيت، وفي ذلك يقول صاحب الكشّاف :" هدى أصله أن يتعدى بـ(اللام) أو بـ(إلى)، كقوله تعالى: (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) الإسراء ٩، وقوله تعالى:(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) الشورى ٥٢"(٢)، ويقول صاحب البحر:" وَالْأَصْلُ فِي هَدَى أَنْ يَصِلَ إِلَى ثَانِي مَعْمُولِهِ بِاللَّامِ، ... ثُمَّ يَتَّسِعُ فِيهِ فَيُعَدَّى إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَمِنْهُ (اهْدِنَا الصِّرَاطَ)."(٣)، وقد ذكر رمضان لعيبي في بحثه: (التضمين عند النحاة)، ذكر رأيًا بديعًا حيث قال:" لقد جاءت الهداية متعدية إلى مفعولين ووردت على لسان المفسرين كما أ رينا بمعنى: الإلهام والتوفيق، والتعريف والإرشاد، والدلالة والإيصال والإدخال والتسديد، وكلها لا تتعدى إلى الثاني بنفسها إلا ألهم، ولعل تضمين (هداه) معنى الفعل(سلّكه وأسلكه) والمتعدي إلى مفعولين يصور مفهوم الهداية هنا على أشرف أحوالها، وأنْوه صفاتها، وإنها التسليك العملي، لا القولي في صراط المنعم عليهم."(٤)، وقد اختلف أهل اللغة حول وقوع التوسع في المعنى، هل هو في حقّ الفعل أو في حق الحرف، قال صاحب البرهان:" وَاخْتَلَفُوا أَيُّهُمَا أَوْلَى فَذَهَبَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ التَّوَسُّعَ

---

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٢٠هـ، ٣: ٢٥٢.

(٢) الكشاف، ١: ١٥.

(٣) البحر المحيط، ١: ٤٥.

(٤) التضمين عند النحاة، فائز رمضان لعيبي، مجلة أبحاث ميسان، مجلد ١٧، العدد ٣٣، ص ٩.

فِي الْحَرْفِ وَأَنَّهُ وَاقِعٌ مَوْقِعَ غَيْرِهِ مِنَ الْحُرُوفِ أَوْلَى، وَذَهَبَ الْمُحَقِّقُونَ إِلَى أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْفِعْلِ وَتَعْدِيَتَهُ بِمَا لَا يَتَعَدَّى لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى مَا يَتَعَدَّى بِذَلِكَ الْحَرْفِ أَوْلَى لِأَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْأَفْعَالِ أَكْثَرُ."(١)

ومنه قوله تعالى:" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ" الأنعام ١، المقرر عند النحاة أن الفعل (جعل) يتعدى لمفعولين اثنين، لكنه لما ضُمِّن معنى الفعل (خلق) لم يتعدَّ إلا لواحد، قال الزمخشري:" (جَعَلَ) يتعدّى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى(أحدث وأنشأ)، كقوله: (وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ)، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى (صيّر)، كقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً) الزخرف ١٩، والفرق بين الخلق والجعل: أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين، كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئا، أو نقله من مكان إلى مكان."(٢)، وعليه فقد أُعطي الفعلُ (جعل) حكم الفعل (خلق) في التعدي واللزوم، فكان لذلك التضمين أثره في المعنى وفي الإعراب، قال سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ :" ومثلُ قولهم: من كان أخاك،(أي: بجواز الرفع والنصب)، قولُ العرب: ما جاءتْ حاجتَك، كأنّه قال: ما صارت حاجتَك، ولكنّه أدخل التأنيث على (ما)، حيث كانت الحاجَة، كما قال بعض العرب: من كانت أُمَّك، حَيْثُ أَوقع (مَنْ) على مؤنَّث."(٣)، وإن كان البعض قد قصر دخول التأنيث على الفعل (جاء) في هذا القول فقط، قال سيبويه:" وإنما صُيِّرَ (جاء) بمنزلة (كان) في هذا الحرف وحده؛ لأنّه كان

(١) البرهان في علوم القرآن، ٣: ٣٣٨.

(٢) الكشاف، ٢: ٣.

(٣) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه(ت: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م١: ٥٠، ٥١.

بمنزلة المثَل."[١]، وقال أبو البركات:" (جاءت) لا تنصب إلا (حاجتك)، كأنهم قالوا: ما صارت حاجتك، وكانت حاجتك، وأدخلوا التاء على (ما)؛ إذ كان (ما) هو الحاجة، كما قال بعضهم: مَنْ كانت أُمَّكَ، فنصب (الأم) وأنَّث (من) حيث أوقعها على مؤنث؛ ولأن هذا الاسم عَلَم فجاز أن يختص بما لا يكون في غيره؛ لأن الأسماء الأعلام كثيرًا ما يُعْدَلُ ببعضها عن قياس الكلام."[٢]

قوله تعالى:" عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا" الإنسان ٦، فإن الأصل أن يتعدّى الفعل (يشرب) بنفسه، فأقول: شربتُ العسل واللبن مخلوطين، وقد يتعدّى بحرف الجر (مِنْ)، ولكنَّه لمّا ضُمِّن هنا معنى (يُرْوَى) تعدَّى بالباء، قال أبو جعفر:" وأحسن من هذا أن يكون المعنى: يُروى بها."[٣]، أو أنَّ الباء هي التي ضُمِّنت معنى (مِن) والفعل على أصل معناه، فالفعل منزَّلٌ منزلة اللَّازم، وتكون الهاء في (بها) عائدةٌ على العين، أي: شربت من العين، وبهذا قال العكبري:" وَقِيلَ: هِيَ (الباء) بِمَعْنَى (مِنْ)، وَقِيلَ: هُوَ حَالٌ؛ أَيْ يَشْرَبُ مَمْزُوجًا بِهَا، وَالْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ

---

(١) الكتاب: ١: ٥١.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف، ١: ٣٢٨، وينظر: شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان(ت: ٣٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ١: ٣٠٨، وشرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش(ت: ٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢: ٧٣٢، وشرح الكافية الشافية، ١: ٣٩١، والنحو الوافي، ١: ٤٥٨، وشرح كتاب سيبويه، ١: ٣٠٨.

(٣) إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي(ت: ٣٣٨هـ)، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٥: ٦٤.

مَحْمُولًا عَلَى الْمَعْنَى؛ وَالْمَعْنَى: يَلْتَذُّ بِهَا."[١]، وقال بالتضمين كذلك الأخفش، حيث قال:" يَشْرَبُ بِها، ويشربها، سواء فِي المعنى، وكأن يشرب بها: يَروَى بها، وينقَع، وأمَّا يشربونها فبيّن، وَقَدْ أنشد أبو ذؤيب الهذلي(من الطويل):

شَرِبْنَ بِمَاءِ البحرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... مَتى لُجَجٍ خَضْرٍ لَهُنَّ نئيجُ

والباء في بماء بمعنى (من)."[٢]، وبه قال الزجاجي عند حديثه عن حرف الباء، قال:" الْبَاء تكون للإلصاق كَقَوْلِك مَرَرْت بزيد، وَقد تقع مَكَان (من)، ... بِمَعْنى يشرب مِنْهَا."[٣]، وهذا قول ابن الصائغ كذلك، قال:" وتأتي (الباء) بمعنى (مِنْ)، كقوله تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ}، قيل: تكون بمعنى (يشرب مِنها)."[٤]، وذكر بيت أبي ذؤيب وقال بأن الشاهد فيه قوله: بماء البحر؛ حيث جاءت (الباء) بمعنى (من)، أي: شَرِبْنَ من ماء البحر.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ٢: ١٢٥٨، بدون.

(٢) معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء(ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، ٣: ٢١٥.

(٣) حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، أبو القاسم(ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ١: ٤٧.

(٤) اللمحة في شرح الملحة، محمد بن حسن بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ(ت: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ١: ٢٤٤، وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي(ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، ١: ٤٣،

وتضمين الفعل (يشرب) معنى الفعل (يُروى) هو من قبيل التضمين المعجمي؛ أي: بتضمين اللفظ معنى مادة لفظ آخر، فيكون قد عُبِّر به عن الشرب من دون الكأس، أي: عينًا يروى بها، وهنا تتحقق للتضمين فائدة الاكتفاء من الشرب، مضافًا إلى معنى العَبِّ، مع جواز تضمينه معنى التلذذ في الشرب؛ وذلك أنَّ أهل الجنة لا يعطشون فلا يُعبَّر عن شربهم بالروي، فأكلهم وشربهم إنمَّا هو للتلذُّذ والتنعُّم، وعلى هذا فإنَّ تقدير التضمين بـ(يتلذذ) أولى وأقرب؛ فقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: " يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣]."[(١)]، ومعلوم أن التضمين ينبني على تغيُّر المعنى، وقد يترتَّب عليه تغيّرٌ في الحكم سواء الصرفي أو النحوي، وقد رأينا كيف تبعه تغيُّرٌ صرفيٌّ.

ومن تضمين فعل معنى فعل آخر، قول الشاعر (من البسيط)[(٢)]:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ ... فقدْ تركتُكَ ذَا مالٍ وذَا نَشَبِ

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٤: ٢١٨٢ رقم (٢٨٣٧)، وينظر: التضمين وأثره في المعنى والإعراب، شيماء محمد بركات، كلية الدراسات الإسلامية، العدد ٣٥، ص ٢٨٤٧، وبدون تفاصيل أخرى.

(٢) يُنسب إلى عمرو بن معدي كرب، وإلى العبّاس بن مرداس، وإلى زُرعة بن السّائب، وإلى خفاف بن ندبة، وإلى أعشى طرود واسمه: إياس بن عامر. اللمحة في شرح الملحة، ١: ٣٢٧.

حيث ضمّن الفعل (ترك) معنى الفعل (صار)، فيكون المعنى: حوّلتُ حالك من الفقر إلى أن صرت صاحب مال وعز، وقد ترتب على هذا التضمين تغيُّرٌ في الموقع الإعرابي لـ(ذا مال)، فصار مفعولا ثانيا، وقد خرج الفعل هنا عن معناه الأصلي، وهو خلف ورحل عنه، يقال: ترَكَ الميِّتُ مالاً، أي: خلَّفه، أبقاه إرثًا لمن بعده، وعلى هذا المعنى يكون (ذا مال) حالًا.(١)

ومنه كذلك قول الشاعر (من البسيط):

أستغفرُ اللَه ذَنْبًا لَسْتُ مُحصيهُ ... رَبَّ العبادِ إليهِ الوجهُ والعَملُ

حيث تضمّن الفعل (أستغفر) معنى (أستتيب)، أي: أطلب المغفرة، والتوبة، فالسين والتاء للطلب، وبخروج الفعل هنا عن معناه الأصلي وتضمينه معنى فعل آخر، فإنه لا يستطيع الوصول إلى مفعوله الثاني بنفسه، بل احتاج إلى حرف الجر (من)، ويكون (ذنبًا) منصوبًا على نزع الخافض الذي هو الحرف (من)، غير أن الذي رجحه كثير من النحاة، أن (أستغفر) يتعدى بنفسه إلى مفعولين، فيكون انتصاب (ذنبا) على أنه مفعول به حقيقة، لا على نزع الخافض.(٢)، والأمر عند سيبويه على الخيار، قال:" هذا باب الفاعل الذي يَتعَّداهُ فعلُه إلى مفعولين، فإن شئت اقتصرتَ على المفعول الأول، وإن شئت تعدّى إلى الثاني كما تعدّى إلى الأول، وذلك

---

(١) الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج(ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١: ١٧٨، بدون.

(٢) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ١: ٤٧٧، بدون، وشرح الأشموني، ١: ٤٤٨، وشرح التصريح على التوضيح، ١: ٦١٧، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري(ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م، ٢: ٧٢٦.

قولك: أعطَى عبدُ الله زيداً درهماً، وكسوتُ بشراً الثَّيابَ الجيادَ، ومن ذلك: اخترتُ الرجالَ عبدَ الله، ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ:(وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا) الأعراف ١٥٥، وسميته زيداً، ودعوته زيداً، إذا أردت دعوته التي تجري مجرى سميته، وإن عنيت الدعاء إلى أمر لم يجاوز مفعولًا واحداً، ... أفعالٌ تُوصَلُ بحروفِ الإضافة، فتقولُ: اخترتُ فلاناً من الرِّجالِ، وسمّيته بفلان، كما تقول: عرّفتُه بهذه العلامة وأوضحتهُ بها، وأستغفِرُ الله من ذلك، فلمَّا حذفوا حرَف الجر عَمِلَ الفعلُ.."[1]

من التضمين في الأسماء:

يدخل في هذا الباب تضمين الفعل معنى المصدر، أو بمعنى آخر اشتقاق الفعل من المصدر، قال أحمد السّهيلي:" المصدر اسم كسائر الأسماء، يخبر عنه كما يخبر عنها، كقولك: أعجبني خروج زيد، فإذا ذكر المصدر وأخبر عنه كان الاسم الذي هو الفاعل له مجرورا بالإضافة، والمضاف إليه تابعا للمضاف، فإذا أرادوا أن يخبروا عن الاسم الفاعل للمصدر لم يكن الإخبار عنه وهو مخفوض تابع في اللفظ لغيره، وحق المخبر عنه أن يكون مرفوعا مبدوءً به، فلم يبق إلا أن يدخلوا عليه حرفا يدلّ على أنه مخبر عنه كما تدل الحروف على معان في الأسماء، وهذا لو فعلوه لكان الحرف حاجزا بينه وبين الحدث في اللفظ، والحدث يستحيل انفصاله عن فاعله كما يستحيل انفصال الحركة عن محلها، فوجب أن يكون اللفظ غير منفصل لأنه تابع للمعنى، فلم يبق إلا أن يشتق من لفظ الحدث لفظا يكون كالحرف في النيابة عنه دالا على معنى في غيره، ويكون متصلا اتصال المضاف بالمضاف إليه، وهو الفعل المشتق من لفظ الحدث؛ فإنه يدل على الحدث بالتضمن، ويدل على الاسم مخبرا عنه لا مضافا إليه؛ إذ يستحيل إضافة لفظ الفعل إلى الاسم كاستحالة إضافة الحرف؛ لأن المضاف هو

(١) الكتاب، ١: ٣٧، ٣٨.

الشيء بعينه والفعل ليس هو الشيء بعينه، ولا يدل على معنى في نفسه وإنما يدل على معنى في الفاعل وهو كونه مخبرا عنه، فإن قلت: كيف لا يدل على معنى في نفسه وهو يدل على الحدث؟ قلنا: إنما يدل على الحدث بالتضمن ... ومن ثم وجب أن لا يتثنى ولا يجمع كالحرف، ومن ثم وجب أن يبنى كالحرف، ومن ثم وجب أن يكون عاملًا في الاسم كالحرف، كما أن الحرف لما دل على معنى في غيره وجب أن يكون له أثر في لفظه كما له أثر في معناه، وإنما أعرب المستقبل ذو الزوائد لأنه تضمَّن معنى الاسم؛ إذ الهمزة تدل على المتكلم، والتاء على المخاطب، والياء على الغائب فلما تضمن بها معنى الاسم ضارعه فأعرب، كما أن الاسم إذا تضمن معنى الحرف بني، ... نحو قوله تعالى: { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ} البلد ١٤، وقوله: { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ } النور ٣٧، والفعل لا بد من ذكر الفاعل بعده كما لا بد بعد الحرف من الاسم، فإذا ثبت المعنى في اشتقاق الفعل من المصدر وهو كونه دالا على معنى في الاسم، فلا يحتاج من الأفعال الثلاثة إلا إلى لغة واحدة وتلك الصيغة هي لفظ الماضي؛ لأنه أخف وأشبه بلفظ الحدث، ..."[1]، وقد عقّب صاحب بدائع الفوائد بقوله:" هذا الفصل من أعجب كلامه (السهيلي)، ولم أعرف أحدًا من النحويين سبقه إليه.[2]

ومما لحقه التضمين في الأسماء قوله تعالى:" أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ" البقرة ١٨٧، أصل الرفثِ الجماع وما صاحبه من أفعال، قال صاحب اللسان:" الرَّفَثُ: الجماعُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وامرأَته، يَعْنِي التَّقْبِيلَ والمُغازلة وَنَحْوَهُمَا، مِمَّا يَكُونُ فِي حَالَةِ الْجِمَاعِ، وأَصله قَوْلُ الفُحْش، والرَّفَثُ أَيضاً: الفُحْشُ مِنَ

(١) نتائج الفكر في النَّحو، ص ٥٤ وما بعدها.

(٢) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١: ٢٧- ٣٠، بدون.

الْقَوْلِ، وَكَلَامُ النساءِ فِي الْجِمَاعِ؛ تَقُولُ مِنْهُ: رَفَثَ الرَّجُلُ وأَرْفَثَ، وَقَدْ رَفَثَ بِهَا ومَعها."[١]، وقد ضُمّن الرفث هنا معنى الإفضاء، قال أبو عبيدة: " الرَّفَثُ، أي: الإفضاء إلى نسائكم، أي النكاح."[٢]، ويؤكّد ابن قتيبة هذا المعنى بقوله:" الرَّفَثُ: الجماع، ورفث القول هو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح."[٣]، وأشار ابن جنّي إلى أن أصله التعدية بـ(الباء)، لكنّه لما ضمن معنى الإفضاء عدّي بـ (إلى)، قال:" أنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنّما تقول: رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت بـ(إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ(إلى) مع الرفث؛ إيذانًا وإشعارًا أنه بمعناه."[٤]، وهو ما ذهب إليه ابن هشام في المغني، حيث قال:" ضُمِّن (الرَّفَث) معنى(الْإِفْضَاء) فعدِّي بـ(إلى)، مثل: قوله تعالى:(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) النساء ٢١، وَإِنَّمَا أصل الرَّفَث أَن يتَعَدَّى بِالْبَاء، يُقَال: أرفث فلَان بامرأته."[٥]، ويؤكّد الرّاغب على ذلك بقوله:" الرفث كلّ كلام يتضمن ذكر الجماع، وجُعل كناية عنه، وعُدَّي بـ(إلى) لتضمُّنه معنى الإفضاء."[٦]، وهذا يعود بنا إلى التأكيد على أن التضمين هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر، مع إعطائه حكمه في التعدّي واللزوم؛ وذلك لوجود المناسبة الدلالية والسياقية بين اللفظين: المذكور والمضمن.

---

(١) لسان العرب، ٢: ١٥٤، مادة (رفث).

(٢) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري(ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط ١٣٨١ هـ، ١: ٦٧.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: سعيد اللحام، ١: ٦٩، بدون.

(٤) الخصائص، ٢: ٣١٠.

(٥) مغني اللبيب، ١: ٨٩٨.

(٦) تفسير الراغب الأصفهاني، ١: ٣٩٧.

ومن الأسماء التي لحقها التضمين لفظة (أذِلّة)، وهي جمع ذليل، من اللّين، قال صاحب اللسان:" والذُّلُّ والذِّلُّ: الرِّفْقُ وَالرَّحْمَةُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا،) الإسراء ٢٤."[١]، والأصل فيها أن تتعلق بالباء لكونها تحمل معنى الرفيق، الرؤوف، الشفيق، قال الزجاج:" أي: جانبهم ليِّنٌ على المؤمنين، ليس أنهم أذلاء مهَانون."[٢]، وقال أبو جعفر:" أي: يرأفون بهم ويرحمونهم."[٣]، لكنها خرجت عن المألوف في قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ... " المائدة ٥٤؛ إذ ضمّنت معنى الحنو والعطف، قال صاحب الكشّاف:" ومن زعم أنه (أذلة) من الذلّ الذي هو نقيض الصعوبة، فقد غبي عنه أنّ ذلولا لا يجمع على أذلة، فإن قلت: هلا قيل: أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟، قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يضمّن الذلّ معنى الحنوّ والعطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع."[٤]، فيكون المعنى: عاطفين أو حانين على المؤمنين، وممن قال بالتضمين فخر الدين الرازي في الكبير، حيث قال:" أَنْ يُضَمِّنَ الذُّلَّ مَعْنَى الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: رَاحِمِينَ عَلَيْهِمْ مُشْفِقِينَ عَلَيْهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّذَلُّلِ."[٥]

---

(١) لسان العرب، ١١: ٢٥٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، ٢: ١٨٣.

(٣) إعراب القرآن، ١: ٢٧٣.

(٤) الكشّاف، ١: ٦٤٨.

(٥) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١٢: ٣٨١.

ومما جاء فيه تضمين اسم معنى اسم آخر حديث النبوي الشريف، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ :" كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ."(١)، فإن من المقرر عند جمهور النحاة لفظة (كلّ) إذا أضيفت إلى نكرة في باب الخبر أو غيره وافقت المضاف تذكيرا وتأنيثا، نحو قوله تعالى:" يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا" آل عمران ٣٠، وقوله تعالى:" كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" آل عمران ١٨٥، وقوله تعالى:" هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ" يونس ٣٠، وكان القياس تأنيث الضمير مع كلمة سُلامى، فيقال: عَلَيْها صَدَقَةٌ ، لكنّها لمّا ضمّنت معنى العظم أو المفصل ذُكِّر معها الضمير، فقال: عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، فالضمير يعود على أقرب مذكور كما هو معلوم، قال صاحب التهذيب:" السُّلاَمَى فِي الأَصْل: عَظْم يكون فِي فِرْسِنِ البَعِير، وَيُقَال: إنَّ آخِرَ مَا يَبْقَى فِيهِ المُخّ من الْبَعِير إِذا عَجُف فِي السُّلاَمَى وَفِي الْعين، وَأَنْشد:

لَا يَشْتَكِينَ عَمَلاً مَا أَنْقَيْن مَا دَامَ مُخٌّ فِي سُلامَى أَوْ عَيْن

قَالَ: فكأَنَّ معنى الحَدِيث: إن على كلّ عَظْم من عِظَام ابْنِ آدمَ صَدَقة."(٢)، وقال الزمخشري:" وهي عظام الأصابع اللينة."(١)، وجاء في تاج العروس:" السُّلاَمَى:

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٣: ١٨٧، وفي رواية مسلم زيادة، قَالَ:" تعدِل بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ» قَالَ: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ." صحيح مسلم، ٢: ٦٩٩.

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١٢: ٣١٢، وينظر: الأفعال، سعيد بن محمد، أبو عثمان، ويعرف بابن الحداد(ت: بعد ٤٠٠ هـ)، تحقيق: حسين محمد ←←←

(عِظامٌ صِغارٌ طُولُ إِصْبَعٍ أَو أَقلُّ)، أَي: قَرِيب مِنْهَا، ... والسُّلاَمَى جمع سُلامِيَة، وَهِي الأُنْمُلَةُ من الْأَصَابِع، وَهِي الَّتِي بَيْن كل مِفْصَلَيْن من أَصابِع الْإِنْسَان، وَقيل: السُّلامى: كلّ عَظْم مُجَوّف من صِغار العِظام."[٢]

التضمين النحوي في الحروف:

التضمين في الحروف جعله البعض هو الأصل، على الرغم من أن مسألة تضمين حرف معنى حرف آخر من القضايا التي دار حولها خلاف واسع بين النحاة وعلماء اللغة؛ بل إنها تعدّ من أكثر ظواهر النحو جدالًا، وتباينت حولها الآراء، ما بين مؤيد أو معارض أو منكر لوجودها من الأساس، ذلك أن المسلم به استقلال كل حرف بمكانه ومعناه الذي يؤديه مع مركبه؛ فالحرف هو ما دلَّ على معنى في غيره، فالبصريون لا يُجوِّزون ذلك، بل إنهم يعللون ما خالف قاعدتهم، قال ابن السّرّاج:" البصريون يرون أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياسا على حروف الجزم، وأحرف النصب، فإنها هي الأخرى لا يجوز فيها ذلك، وما أوهم ذلك عندهم: إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ ، ... وإمّا على تضمن الفعل معنى فعل يتعدّى بذلك الحرف، وإما على إنابة كلمة عن أخرى."[٣]، ويقول ابن جنّي ـ رحمه الله ـ منكرًا على من تصدّى لدراسة هذا الباب دراسة سطحية غير عميقة، فيما سمّاه (باب في

→→→

محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، ٣: ١٧٦.

(١) أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١: ٤٧١.

(٢) تاج العروس، ٣٢: ٣٩٥.

(٣) الأصول في النحو، ١: ٤١٤.

استعمال الحروف بعضها مكان بعض):" هذا باب يتلقاه الناس مغسولًا ساذجًا من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه، وذلك أنهم يقولون: إن (إلى) تكون بمعنى(مع)، ويحتجّون لذلك بقول الله سبحانه:" فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ" آل عمران ٥٢، أي: مع الله، ...، وغير ذلك مما يوردونه، ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا، لكنا نقول: إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه، والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا، ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلًا هكذا، لا مقيّدًا، لزمك عليه أن تقول: سرت إلى زيد، وأنت تريد: معه، وأن تقول: زيد في الفرس، وأنت تريد: عليه، ... ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش، ولكن سنضع في ذلك رسمًا يعمل عليه، ويؤمن التزام الشناعة لمكانه."[١]، ومجمل ما يفهم من الكلام أن الاعتراض ليس على وجود التضمين، لكن اعتراضهم على إنابة حرف مكان حرف آخر مطلقا دون قيد؛ لما قد يؤدّي إليه من فوضى في الدراسات اللغوية؛ لذلك جعلوا التضمين بابا يتأوَّلون به ما خالف منهجهم، تمشيا مع ما هو موجود من فصيح النصوص، ويعتبرون التجوّز في الأفعال أولى منه في الحروف، وفي ذلك تشدّدٌ لا طائل من ورائه، يقول ابن السّراج: " اعلم: أن العرب تتسع فيها (الحروف) فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني."[٢]، ويقول السامرائي:" والحق أن الأصل في حروف الجر أن لا ينوب بعضها عن بعض، بل الأصل أن لكل حرف معناه واستعماله، ولكن قد يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف، فتتعاور الحروف على هذا المعنى، وإيضاح ذلك أن حرف الجر في العربية قد يستعمل لأكثر من معنى، فـ(الباء) مثلا تستعمل للإلصاق، والاستعانة والتعويض والتعليل وغيرها، ... فقد يتوسع في معنى الالصاق مثلًا،

---

(١) الخصائص، ٢: ٣٠٩، ٣١٠.

(٢) الأصول في النحو، ١: ٤١٤.

فيستعمل للظرفية فتقول: أقمت بالبلد وفي البلد، ولكن يبقى لكل حرف معناه واستعماله المتفرد به، ولا يتماثلان تمامًا."[١]

أما الكوفيون فقد ذهبوا إلى جواز إنابة حرف مناب حرف آخر، فإنه من الميل بمكان أن يتوقف التفكير على دلالة الحرف منفردا، أي بمعزل عن السّياق الوارد فيه، فلابدّ من الربط بين معنى الحرف ومعنى الفعل، مع وجود المناسبة السياقية بينهما، وهم بذلك لا يميلون إلى القول بالتضمين؛ فالمعاني عندهم على حقيقتها، وشواهدهم على ذلك أكثر من أن تحصى، سواء في القرآن أو الحديث أو في كلام العرب، وقد وضع ابن جنّي ـ رحمه الله ـ ضوابط لهذا الباب، هذه الضوابط تحكم العلاقة بين معنى الفعل داخل تركيبه، وبين الحرف المستعمل معه، والذي يخدم السياق، وتعتبر حدّا فاصلا بين الإطلاق والمنع، قال ابن جنّي:" ولكن سنضع في ذلك رسمًا يعمل عليه، ويؤمن التزام الشناعة لمكانه، اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه."[٢]، ومهما يكن من أمر فإن البحث يميل إلى رأي البصريين القائل بالتضمين؛ مراعاة لسعة معاني العربية، وقدرتها عل تطويع أدواتها بما يخدم المعنى المقصود داخل كل تركيب، حسب ما يقتضيه السياق اللغوي، يقول السامرائي:" فللتضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين: معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني، وذلك نحو قوله تعالى:" وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ الذين كذبوا" الانبياء ٧٧،

---

(١) معاني النحو، ٣: ٧، ٨.

(٢) الخصائص: ٢: ٣١٠.

فقد ذهب قوم إلى أن (من) ههنا بمعنى (على)، وهذا فيه نظر، فإن هناك فرقا في المعنى بين قولك (نصره منه) و (نصره عليه)، فالنصر عليه يعني التمكن منه، والاستعلاء عليه والغلبة، قال تعالى:" قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ" التوبة ١٤، أي: مكنا منهم، وليس هذا معنى نصره منه، أما (نصرناه منهم) فإنه بمعنى: نجيناه منهم، أو منعناه منهم، قال تعالى:" وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" هود ٣٠، فليس المعنى: من ينصرني على الله، بل: من ينجيني ويمنعني منه؟، وقد تقول: ما الفرق بين قولنا: ونجيناه من القوم، وقولنا: نصرناه من القوم؟، والجواب: أن النتيجة تتعلق بالناجي فقط، فعندما تقول: نجيته منهم، كان المعنى: أنك خلصته منهم، ولم تذكر أنك تعرضت للآخرين بشيء، كما تقول: أنجيته من الغرق، ولا تقول: نصرته من الغرق؛ لأن الغرق ليس شيئا ينتصف منه، أما النصر منه ففيه جانبان في الغالب: جانب الناجي، وجانب الذين نجي منهم، فعندما تقول: نصرته منهم، كان المعنى أنك نجيته وعاقبت أولئك، أو أخذت له حقه منهم."[(١)]، والأمثلة على تضمين الحروف بعضها بعضا أكثر مما يحصى، وسوف يتخير البحث بعضا منها:

تضمين حرف الجر (في) معنى (على):

حرف الجر (في) أصل معناه إفادة الظرفية، لكنه قد يضمن معنى (على)، نحو قوله تعالى: " قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى" طه ٧١، فعند إنعام النظر في قوله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)، نجد أن الحرف (في) ضُمّن معنى الحرف(على)، قال سيبويه:" وأما (في) فهي للوعاء،

(١) معاني النحو، ٣: ١٤.

تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، ... وإن اتّسعت في الكلام فهي على هذا، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله."[1]، ويقول ابن عاشور:" التَّصْلِيبُ: مُبَالَغَةٌ فِي الصَّلْبِ، وَالصَّلْبُ: رَبْطُ الْجِسْمِ عَلَى عُودٍ مُنْتَصِبٍ، أَوْ دَقُّهُ عَلَيْهِ بِمَسَامِيرَ، ... وَالْمُبَالَغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْكَيْفِيَّةِ أَيْضًا بِشِدَّةِ الدَّقِّ عَلَى الْأَعْوَادِ؛ وَلِذَلِكَ عدلَ عَنْ حَرْفِ الِاسْتِعْلَاءِ إِلَى حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ تَشْبِيهًا لِشِدَّةِ تَمَكُّنِ الْمَصْلُوبِ مِنَ الْجِذْعِ بِتَمَكُّنِ الشَّيْءِ الْوَاقِعِ فِي وِعَائِهِ."[2]، وقد عقّب الشيخ الشعراوي على هذه الآية بكلام بديع، قال:" المعروف أن التَّصلْيب يكون على الجذوع؛ لذلك حاول بعض المفسرين الخروج من هذا الإشكال فقالوا: (في) هنا بمعنى (على)، لكن هذا تفسير لا يليق بالأسلوب الأعلى للبيان القرآنيّ، ... فـ(في) هنا على معناها الأصلي للدلالة على المبالغة في الصَّلْب تصليباً قوياً، بحيث يدخل المصلوب في المصلوب فيه، كأنه ليس عليه، بل داخل فيه."(٣)، ومما جاء فيه حرف (في) الظرفية متضمنًا لمعنى (على) قول عنترة (من الكامل):

بَطَلٌ كأنّ ثِيابَه في سَرْحَةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليس بتَوْأمِ

وفي تضمينه لمعنى (على)، أي: الاستعلاء، قال ابن جنّي:" أي: على سرحةٍ، وجاز ذلك من حيث كان معلومًا أن ثيابه لا تكون في داخل سرحة؛ لأن السرحة لا تنشق فتستودع الثياب ولا غيرها، وهي بحالها سرحة، فهذا من طريق المعنى بمنزلة

---

(١) الكتاب، ٤: ٢٢٦.

(٢) التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط ١٩٨٤م، ١٦: ٢٦٥.

(٣) تفسير الشعراوي(الخواطر)، محمد متولي الشعراوي(ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٥: ٩٣٢٦، بدون.

كون الفعلين أحدهما في معنى صاحبه."[١]، وقد استشهد أبو البركات بهذا البيت دليلا على وضع حرف في موضع حرف آخر، أي:(في الظرفية) موضع (على) التي تفيد الاستعلاء.[٢]، وهو ما أشار إليه الأشموني بقوله:" والشاهد فيه (في بيت عنترة) قوله: (في سرحة)؛ حيث أراد معنى الاستعلاء."[٣]، على أنه ينبغي الإشارة إلى أن القائلين بالتضمين هنا، أي: أن (في) مفيدة معنى الاستعلاء لتضمُّنها معنى (على) هم الكوفيون، قال شارح المفصل:" فليست (في) في معنى (عَلى)، على ما يظنّه مَن لا تحقيقَ عنده، وإنّما لمّا كان الصَّلبُ بمعنى الاستقرار والتمكّن، عُدّي بـ (في)، كما يُعدَّى الاستقرار، فكما يُقال: تمكّن في الشجرة، كذلك ما هو في معناه؛ لأنه قد عُلم أنّ الشجرة لا تُشَقّ، وتُستودع الثيابَ، وإنّما المراد استقرارُها في سرحة، فهو من قبيل الفعلَيْن: أحدهما في معنى الآخر، والسرحةُ واحدة السَّرْح، وهو الشجر

(١) الخصائص، ٢: ٣١٥.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ٢: ٥١٧، وشرح الكافية الشافية،٢: ٨٠٥، ومغني اللبيب، ١: ٢٢٤

(٣) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي(ت: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٢: ٨٤، وينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصّبّان(ت: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م، ٢: ٣٢٧، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١١: ٢١٢.

العُظام الطُّوال."[١]، وفي كلام ابن يعيش إشارة واضحة إلى التضمين، ومثل ذلك قول القائل (من الطويل)[٢]:

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلاَ عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلاَّ بِأَجْدَعَا

فقد جاءت (في) هنا بمعنى (على)، أي: على جذع نخلة؛ مبالغة في الصلب والشدّ.[٣]، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى:" أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ" الطور ٣٨، حيث ضمنت (في) معنى (على)، قال ابن عطية:" والسلم: السبب الذي يصعد به كان ما كان من خشب أو بناء أو حبال، ... والمعنى: ألهم سُلَّمٌ إلى السماء يَسْتَمِعُونَ فِيهِ، أي: عليه، وهذه حروف يسدُّ بعضُها مسدَّ بعض."[٤]، وقال المبرد:" أَي: يَسْتَمِعُون عَلَيْهِ."[٥]

وقد تضمن (في) معنى (إلى أو الباء) كما جاء في قوله تعالى:" أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ" إبراهيم ٩، قال العكبري:" (فِي أَفْوَاهِهِمْ)، (فِي) عَلَى بَابِهَا ظَرْفٌ لِرَدُّوا؛ وَهُوَ عَلَى الْمَجَازِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا سَكَّتُوهُمْ فَكَأَنَّهُمْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ فَمَنَعُوهُمْ بِهَا مِنَ النُّطْقِ، وَقِيل: هِيَ بِمَعْنَى(إِلَى)، وَقِيل: بِمَعْنَى

(١) شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع(ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٤: ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) قيل: لسويد بن أبي كاهل، وقيل: لامرأة من العرب، وقال ابن الصائغ:" هو: غُطيف بن حارثة اليشكُريّ، ويكنى أبا سعد، وهو شاعر مقدَّم، مخضرَم، أدرك الجاهليّة والإسلام، عَدّه ابن سلاّم في الطّبقة السّادسة من فحول الجاهليّة.

(٣) اللمحة في شرح الملحة، ١: ٢٢٥، ومغني اللبيب، ١: ٢٢٤.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٥: ١٩٣.

(٥) المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس، المعروف بالمبرد(ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ٢: ٣١٩، بدون.

الْبَاء."[١]، وقال الإمام القرطبي:" أَيْ: جَعَلَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَيْدِيَ أَنْفُسِهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ لِيَعَضُّوهَا غَيْظًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُلُ، إِذْ كَانَ فِيهِ تسفيه أحلامهم، وشتم أصنامهم، ... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا سَمِعُوا كِتَابَ اللَّهِ عَجِبُوا وَرَجَعُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ."[٢]، إشارة منه إلى تضمين (في) معنى (إلى)، وأشار الإمام الطبري إلى تمضُّنِه معنى (الباء) بقوله:" أي: ردُّوا أيادى الله التي لو قبلوها كانت أياديَ ونعمًا عندهم، فلم يقبلوها، ووجَّه قوله: (في أفواههم)، إلى معنى: بأفواههم، يعني: بألسنتهم التي في أفواههم."[٣]، وقد استدل بقول القائل (من الطويل):

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

يريد: وأرغب بها، يعنى بابنة له عن لقيط، ولا أرغبُ بها عن قبيلتي، لكنه أكّد على أن الكلام على حقيقته، فقال:" وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية، القولُ الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعضُّوا عليها، غيظاً على الرسل، كما وصف الله جل وعز به إخوانهم من المنافقين، فقال: (وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) سورة آل عمران: ١١٩، فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من: ردِّ اليدِ إلى الفم."[٤]، وقال ابن مالك بتضمينه معنى الباء، قال:" أي: وأرغب بها، وحكى يونس عن بعض العرب: ضربته في السيف، أي بالسيف."[٥]

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، ٢: ٧٦٤.

(٢) تفسير القرطبي، ٩: ٣٤٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٦: ٥٣٤.

(٤) جامع البيان، ١٦: ٥٣٦.

(٥) شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي، أبو عبد الله، جمال الدين(ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر

←←←

تضمين حرف الجر (على) معنى (في) الظرفية:

قد تأتى (على) متضمنة معنى (في الظرفية)، نحو قوله تعالى:" وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا" القصص ١٥، أي: في حين غفلة من أهلها، قال الفرّاء:" وإنّما قَالَ (عَلَى) ولم يقل: ودخل المدينة حين غفلة، ... والمعنى: فِي غفلة، أدخلت فِيهِ (عَلَى)."[١]، وقال القرطبي:" يُقَالُ فِي الْكَلَامِ: دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ حِينَ غَفَلَ أَهْلُهَا، وَلَا يُقَالُ: عَلَى حِينِ غَفَلَ أَهْلُهَا، فَدَخَلَتْ (عَلَى) فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ هِيَ الْمَقْصُودَةُ، فَصَارَ هَذَا كَمَا تَقُولُ: جِئْتُ عَلَى غَفْلَةٍ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: جِئْتُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ."[٢]، وفي كلا الأمرين هي (على أو في حين غفلة) حَالٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْفَاعِلِ؛ أَيْ مُخْتَلِسًا، ومن مجيء (على) بمعنى (في)، أي: مفيدة معنى الظرفية، قول الأعشى (من الطويل):

فصلِّ على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

أي: فصل في حين العشيات، ويقال: أتيته على عهد فلان، أي أتيته في عهد فلان.[٣]

→→→

والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٣: ١٥٨، وينظر: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى علي بن الحسين العلوي(ت: ٤٣٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م، ص ٣٦٦.

(١) معاني القرآن، ٢: ٣٠٣.

(٢) تفسير القرطبي، ١٣: ٢٦٠.

(٣) ظاهرة التقارض في النحو العربي، أحمد محمد عبد الله، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٥٩: ٢٧٥، بدون.

الخاتمة وأهم النتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسألُه حسن الخاتمة، وأن يجعل خير أيامي يوم ألقاه، وبعد فقد وصل البحث إلى خاتمته، وفيها نخلص إلى مجمل ما تناوله؛ فقد تناول في الأصل موضوع التضمين وعلى وجه الخصوص النحويّ منه، لكنه بدأ بالحديث عن العِلة النحوية، فعرفها، وذكر بعض آراء أهل اللغة في العلل، وقد اختار علّة التضمين، فبدأ بتعريفها لغة واصطلاحا، وركّز التناول على التضمين النحوي، فعرض لآراء اللغويين حول حقيقة وجوده؛ فقد تباينت الرؤى حوله ما بين الأقدمين والمحدثين، ويؤكّد الدكتور فاضل السامرائي على أنه خلص إلى أن التضمين عند الأقدمين يدور في فلك ثلاثة مذاهب: الأول: يقرر أصحابه أن المادة المتضمنة قد استخدمت على الوجه الحقيقي، مع قطع الصلة بينها وبين الأصل، أما الثاني: فيقرر أصحابه أن المادة قد استخدمت على الوجه المجازي مع القرينة الدالة، والثالث: يجمع بين المذهبين، فيقرر أصحابه أن المادة مستخدمة على الحقيقة والمجاز في آن واحد.

أما المحدثون الذين أقروا بالتضمين، فقد أخذوا به للحاجة إليه؛ حيث إن متطلبات العصر تستدعي أن تسعف العربية بمادة ضخمة حتى تساير الحياة الحاضرة، ومتطلباتها المعقدة الكثيرة، وقد فعل هذا مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقال بقياسية التضمين.[١]

ومهما يكن من أمر فإن النفس تستريح للرأي القائل بوجود التضمين؛ تأكيدا على سعة العربية، وقدرة ألفاظها على استيعاب المعاني والدلالات المختلفة، وقد توصل البحث إلى ما يلي:

---

(١) فقه اللغة المقارن، ص ٢١٨.

– يقترن وجود التعليل النحويّ بوجود الظاهرة اللغوية أو المسألة النحوية؛ فهو مرحلةٌ مبكرةٌ لاستكشاف ظواهر اللغة، والوقوف على الأحكام النحوية، ومن هنا فإنَّ الارتباط وثيق الصلة بين الحكم النحوي والعلة، فلا ينفكّ أحدهما عن الآخر.

– لا غنى للبحث اللغوي عن وجود ظاهرة التعليل النحوي؛ فهي من أبرز الظواهر اللغوية وجودًا وأثرًا وأهميةً، إذ لا تكاد تمرُّ ظاهرةٌ أو مسألةٌ نحويَّة إلَّا وعمل أهل اللغة على بيان العِلة المُوجِبة لإيجادها، وبيان أدلة الاستقرار على آرائهم فيها.

– يميل البحث إلى القائلين بأن التضمين هو أحد روافد العربية في مجال التوسع في المعنى، وقد أكّدت الدراسات اللغوية في هذا المجال على تلك الرؤية بالتطبيق العملي، ومن ثمّ يمكن اعتبار التضمين أحد أبواب التجديد في العربية.

– يميل البحث إلى رأي البصريين القائل بالتضمين؛ مراعاة لسعة معاني العربية، وقدرتها على تطويع أدواتها بما يخدم المعنى المقصود داخل كل تركيب، حسب ما يقتضيه السياق اللغوي.

– تباينت اتّجاهات النحاة حول قياسية التضمين وسماعيته، لكن الأقرب، والذي مال إليه أوائلهم هو أن التضمين قياسيٌّ، وقد عرض البحث لقول ابن جنّي (الخصائص ٢: ٣١٢):" ووجدت في اللغة من هذا الفنِّ شيئًا كثيرًا لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا، وقد عرفت طريقه، فإذا مرَّ بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيفٌ حسنٌ يدعو إلى الأنس بها، والفقاهة فيها."

– يميل البحث إلى القائلين بأن التضمين يشمل أقسام الكلام الثلاثة: الاسم والفعل والحرف.

مصادر البحث ومراجعه:

١-**ارتشاف الضرب من لسان العرب**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٢-**أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣-**أسرار العربية**، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري(ت: ٥٧٧هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤-**الأشباه والنظائر في النحو**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان وآخرون، مجمع اللغة، دمشق، بدون.

٥-**الأصول في النحو**، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج(ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون.

٦-**إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي(ت: ٣٣٨هـ)، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٧-**الأفعال**، سعيد بن محمد، أبو عثمان، ويعرف بابن الحداد(ت: بعد ٤٠٠ هـ)، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار

الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٨-**الاقتراح في أصول النحو**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)، تعليق وتقديم: عبد الحكيم عطية، علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٩-**أمالي المرتضى** (**غرر الفوائد ودرر القلائد**)، الشريف المرتضى علي بن الحسين العلوي (ت: ٤٣٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

١٠-**الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين**: **البصريين والكوفيين**، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبو البركات، كمال الدين الأنباري(ت: ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١١-**البحث اللغوي عند العرب**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ٢٠٠٣م.

١٢-**البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ١٤٢٠هـ.

١٣-**بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية(ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون.

١٤-**البرهان في علوم القرآن**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

١٥-**تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي(ت٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة، بدون.

١٦-**التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بدون.

١٧-**التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، محمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط ١٩٨٤م.

١٨-**التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت: ٧٤٥ هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، بدون.

١٩-**التضمين عند النحاة**، فائز رمضان لعيبي، مجلة أبحاث ميسان، مجلد ١٧، العدد ٣٣، بدون.

٢٠-**التضمين وأثره في المعنى والإعراب**، شيماء محمد بركات، كلية الدراسات الإسلامية، العدد ٣٥، بدون.

٢١-**التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-

١٩٨٣م.

٢٢-**تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة الجزء الأول: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٣-**تفسير الشعراوي(الخواطر)**، محمد متولي الشعراوي(ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، بدون.

٢٤-**تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٥-**توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري(ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٢٦-**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٧-**جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٨-**جمهرة الأمثال**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(ت: نحو ٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون.

٢٩-**الجنى الداني في حروف المعاني**، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي(ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٣٠-**حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، أبو العرفان محمد بن علي الصّبّان (ت: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣١-**حروف المعاني والصفات**، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، أبو القاسم(ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٣٢-**الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤، بدون.

٣٣-**سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي(ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون.

٣٤-**شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي(ت: ٩٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٥-**شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله**، ابن مالك الطائي، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٦-**شرح التسهيل المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"**، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش(ت:

٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.

٣٧-**شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقَّاد(ت: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٨-**شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، بدون.

٣٩-**شرح الكافية الشافية**، محمد بن عبد الله، ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين(ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، السعودية، ط١، بدون.

٤٠-**شرح كتاب سيبويه**، أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان(ت: ٣٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٤١-**شرح المفصل**، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع(ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤٢-**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ط ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤٣-**طبقات فحول الشعراء**، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي، أبو عبد الله(ت: ٢٣٢هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، بدون.

٤٤-**ظاهرة التقارض في النحو العربي**، أحمد محمد عبد الله، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون.

٤٥-**علم اللغة العربية**، د. محمود فهمى حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون.

٤٦-**غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: سعيد اللحام، بدون.

٤٧-**فقه اللغة المقارن**، د. إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٤٨-**الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه(ت: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤٩-**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥٠-**لسان العرب، محمد بن مكرم بن على**، أبو الفضل، جمال الدين ابن

منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

٥١-**اللمحة في شرح الملحة**، محمد بن حسن بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ(ت: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٥٢-**مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري(ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط ١٣٨١ هـ.

٥٣-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٤-**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٥٥-**معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي(ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٦-**معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء(ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، بدون.

٥٧-**معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج(ت: ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٨-**معاني النحو**، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥٩-**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

٦٠-**مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٦١-**مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين(ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٦٢-**المقتضب**، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس، المعروف بالمبرد(ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ٢: ٣١٩، بدون.

٦٣-**نتائج الفكر في النَّحو**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السّهيلي(ت: ٥٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٦٤-**النحو الوافي**، عباس حسن(ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط١٥، ٢: ٥٨٤، بدون.

٦٥-**النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِيرِ غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ**،

محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي، أبو عبد الله، المعروف بابن بطال(ت: ٦٣٣هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط ١٩٨٨م.

٦٦-**النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله**، أبو الحسن الرماني(ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

٦٧-**النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الجزري ابن الأثير(ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.